



With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

The translation to Arabic was made possible through the generous funding of The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion.

"تصفيه" هو النص الأسبوعي الثامن من كتاب "شموت" (سفر الخروج) ويبدأ هذا النص الأسبوعي بالآية العشرين من المقطع السابع والعشرين، وينتهي بالآية العاشرة من المقطع الثلاثين.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO القيادة كتناعم متعدي الأصوات

إنَّ أحد أهمِّ إسهامات الفكر اليهودي التي بلورت فهمنا للقيادة هو إصراره منذ البداية على "فصل السلطات"، وهو مفهوم صاغه القاضي والأديب والفيلسوف السياسي الفرنسي، شارل لوي دي سيكوندا، المعروف بمونتيسكيو، في القرن الثامن عشر. ويعني هذا المبدأ أنَّ السُّلطة أو الحُكم لا يجب أن تُمنَح لِفردٍ واحدٍ أو تتركز في منصبٍ بعينه، بل يجب توزيعها بين أدوارٍ ومناصبٍ مختلفة. ومن أهمِّ مبادئ الفصل بين السلطات، والذي سبق بآلاف السنين مبدأ "فصل الدين عن الدولة"، كان التمييز بين منصب المَلِك، وهو رأس الدولة من جهة، والكاهن الأكبر، وهو أعلى منصبٍ دينيٍّ، من جهةٍ أخرى. وكان ذلك ثورةً حقيقية!

فقد كان ملوك دويلات بلاد الرافدين وفراعنة مصر يُعتبرون أنصاف آلهة، أو وسطاء رئيسيون للآلهة الوثنية. وكانوا يترأسون أعظم الاحتفالات الدينية، ويُنظر إليهم على أنَّهم ممثِّلو السماء على الأرض. في المقابل، لم يكن للملك أيُّ وظيفةٍ دينية تُذكر في الديانة اليهودية، باستثناء الطقس الخاص الذي يتلو فيه الملك كتاب العهد (أي التوراة) مرَّة كلَّ سبع سنوات، وهو الطقس المعروف باسم "هقهيل"، بمعنى: تجمُّع الشعب.

في الحقيقة، كان الاعتراض الرئيسي للحُكماء على الملوك الحشمونيين هو أنَّهم خرقوا هذه القاعدة القديمة التي تفصل بين السُّلطة والدين، إذ أعلن بعضهم أنَّفسهم كهنةً عظماء أيضًا. وقد سجَّل التلمود هذا الاعتراض الوارد في باب "قيدوشين" 66 أ: "فَلْيَكْفِكُمْ تاجُ المُلِك. دَعُوا تاج الكهنوتِ لأبناءِ أهارون". وكان الأثر الناجم عن هذا المبدأ هو عزُّ السُّلطة الدنيوية عن الدين وتجريدها من أيِّ قداسة.²

1. Charles-Louis Montesquieu, *The Spirit of Laws* (Encyclopaedia Britannica, 1952).

2. في الديانة اليهودية، لا تُعدَّ السُّلطة مُقدَّسة، باستثناء ما يُمارسه الله عزَّ وجلَّ.

ولا يقلُّ أهميّة عن ذلك تقسيم القيادة الدينيّة ذاتها إلى وظيفتين متميّزتين، وهما: وظيفة النبيّ، ووظيفة الكاهن. ويبدو ذلك جليًّا في النص التوراتيّ الأسبوعيّ الذي بين أيدينا "تصفيّه"، الذي ركّز على دور الكاهن دون أن يتطرق إلى دور النبيّ. فنصّ "تصفيّه" هو أول نصّ أسبوعيّ منذ بداية كتاب شмот (أي سفر الخروج) لا يردّ فيه اسمُ نبيّ الله ورسوله موسى/إطلاقًا. وهو نصّ "كهنوتيّ" خالص، بخلاف النصوص الأسبوعية الأخرى ذات البعد النبويّ.

كان لكلّ من الكهنة والأنبياء أدوارٌ متباينةٌ أشدّ التباين، على الرّغم من أنّ بعض الأنبياء، وعلى رأسهم يِحزقيال/حزقيال، كانوا كهنةً أيضًا. ويمكن تلخيص الفوارق الجوهرية بينهما كما يلي:

1. كانت وظيفة الكاهن وراثيّة، أمّا النبوة فمبنيّة على الكاريزما الشخصية. فالكهنة هم أبناءُ أهارون/هارون، ويتبوّؤون هذا الدور بالولادة بغضّ النظر عن صفاتهم الفردية، بينما لم يكن الحال كذلك مع النبوة، فلم يكن للنسب أيّ دور فيها؛ حيث إنّ أبناء نبيّ الله ورسوله موسى لم يكونوا أنبياء.

2. كان الكاهن يرتدي ثيابًا خاصّة بمنصبه في حين لم يكن للنبيّ أيّ زيّ رسميّ.

3. كان الكهنوت حكرًا على الرجال، بخلاف النبوة. وكما أشرنا سابقًا، ذكر التلمود سبع نبيّات: ساره، مريّام/مريم، دُفورا/دُبورة، حنه، أفيغاييل، حُلداه، وإستير (باب "مغيلاه" 14 أ).

4. لم يكن دور الكاهن يتغيّر مع مرور الزّمان، بل كان هناك جدولٌ سنويّ دقيقٌ للذبائح والقرايين، لا يتبدّل من عامٍ إلى آخر. في المقابل، لم يكن النبيّ يعرف ما هي مهمّته حتّى يُوحى الله عزّ وجلّ إليه بها؛ فلم تكن النبوة أبدًا دورًا روتينيًّا، بل نداءً خاصًّا من الله عزّ وجلّ لتنفيذ مهمّةٍ مُعيّنة.

5. وبناءً على ما سبق، كان للنبيّ والكاهن إحساسان مختلفان بالزّمن. فزمنُ الكاهن هو كما وصفه أفلاطون: "الصّورة المتحرّكة للأبدية"³، أي دائرةٌ أبديةٌ تتكرّر مرارًا وتكرارًا. أمّا النبيّ فكان يعيش في الزمن التاريخي، حيثُ يختلفُ حاضره عن ماضيه، ولا يشبه غده يومه. وتعبيرٌ آخر: كان الكاهن يتلقّى كلمة الله عزّ وجلّ بوصفها موجّهةً للأزمنة كلّها، أمّا النبيّ فكان يتلقّاها بوصفها موجّهةً لزمّنه هو.

6. كان الكاهن "مُقَدَّسًا"، ولذلك كان منفصلًا عن باقي الشعب. كان عليه أن يتناول طعامه في حالة من الطهارة، وأن يتجنّب ملامسة الموتى، إذ يُعتبَر الموتُ في منظومة الطهارة والنجاسة نجاسةً عظيمةً. أمّا النبيّ، فعلى النقيض من ذلك، فقد عاش غالبًا بين الناس، وتكلّم بلغتهم، وكان من الممكن أن ينتمي إلى أي طبقة اجتماعية.

7. كانت الكلمات المفتاحيّة التي ارتبطت بها وظيفة الكاهن هي: "طاهور" (طاهر)، "طاميه" (نجس)، "قودش" (مقدّس)، و"حُل" (عادي/دنيوي). أمّا الكلمات المفتاحيّة التي ارتبطت بها عمل النبيّ فهي: "تسيدك" (الاستقامة/العدل الأخلاقي)، "مِشباط" (العدالة/القضاء)، "حسيد" (الإحسان والمحبة الرحيمة)، و"رحاميم" (الرحمة). ولا يجب أن يفهم من ذلك أنّ الاهتمام بالأخلاق اقتصر على الأنبياء وحدهم دون الكهنة. فبعض أعظم الوصايا الأخلاقية، مثل "أحبّ قريبك كنفسك"، وردت في المقاطع الكهنوتية من التوراة. لكن الفرق أنّ الكهنة كانوا يفكرون من منظور نظام أخلاقي متجذّر في بُنية الواقع ذاته، وهو ما يُعرّف أحيانًا بـ"الأنطولوجيا المُقدَّسة"⁴، أمّا الأنبياء، فلم يكن اهتمامهم منصبًا على الأشياء والأفعال في حدّ ذاتها، بل كانوا يفكرون من منظور العلاقات بين الأشخاص أو الطبقات الاجتماعية.

3. Plato, *Timaeus* 37d.

4. Philip Rieff, *My Life among the Deathworks* (Charlottesville, Va.: University of Virginia Press, 2006). وكان ريف ناقدًا لحدائثه. Antonius A. W. Zondervan, *Sociology and the Sacred: An Introduction to Philip Rieff's Theory of Culture* (Toronto, Ontario: University of Toronto Press, 2005). العصر على نحو فريد وبصيرة ثاقبة. ولمُقدّمة في فكره، انظر

8. كانت مهمة الكاهن أن يحافظ على الحدود، ولذلك كانت الأفعال الأساسية المرتبطة بوظيفته هي "لهفديل" (أن يُميز أو يفصل بين شيء وآخر) و"لهوروت" (أن يُصدر تعليمًا أو حكمًا شرعيًا). فالكهنة كانوا يُصدرون الأحكام، بينما كان الأنبياء يوجهون التحذيرات ويُطلقون الإنذارات.

9. لم يكن للبعد الشخصي أي تأثير في وظيفة الكاهن. فإذا عجز أحد الكهنة، حتى الكاهن الأكبر، عن أداء خدمة معينة، كان في مقدور كاهن آخر أن يحل مكانه دون أن تتأثر تأدية الطقوس. أما النبوة فكانت شخصية في جوهرها، إذ قال الحكماء: "لا يتنبأ نبتان بأسلوب واحد" (باب "سنهدين" 89 أ). فقد كان النبي هوشع مختلفًا عن عاموس، وكذلك كان يشعياهو/إشعيا مختلفًا عن يرمياهو/إرميا. فلكل نبي صوته الخاص وأسلوبه المميز.

10. كان الكهنة يُجسّدون المؤسسة الدينية، بينما لم يكن الأنبياء، على الأقل أولئك الذين خُلدت كلماتهم في التناخ، جزءًا من المؤسسة، بل كانوا "ضد المؤسسة"، حيث كانوا ناقدين للسلطات القائمة في زمانهم.

لقد تنوّعت أدوار الكاهن والنبي مع مرور الزمن. فالكهنة تولّوا دومًا خدمة القرايين في الهيكل، لكنهم كانوا أيضًا قضاة، فكما وَرَدَ في الآية التاسعة من المقطع السابع عشر من سفر التثنية، إذا كانت القضية صعبة جدًا ولم تتمكن المحكمة المحلية من البت فيها، فيجب الذهاب: "...إلى الأئمة اللاويين وإلى الحاكم الذي يلي في ذلك الزمان، فَالْتَمِسْ مِنْهُمْ أَمْرَ ذَلِكَ الْحُكْمِ، يُفْتُونَك بِهِ".

وقد بارك نبي الله ورسوله موشيه اللاويين، وقال عنهم كما ورد في الآية العاشرة من المقطع الثالث والثلاثين من سفر التثنية: "فَهُمْ يَفْتُونُ فِي أَحْكَامِكَ لِيَعْقُوفَ وَشَرَائِعَكَ لِيِسْرَائِيلَ..."، وهذا يُشير إلى أن لهم دورًا تعليميًا أيضًا.

وقد قال النبي ملاخي/ملاخي، وهو نبي عاش في فترة الهيكل الثاني، في الآية السابعة من المقطع الثاني من سفر ملاخي: "لَأَنَّ سَفَقَي الْكَاهِنِ تَحْفَظَانِ مَعْرِفَهُ، وَمِنْ قَمِهِ يَطْلُبُونَ الشَّرِيعَةَ، لِأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْجُودِ". لقد كان الكاهن حارسًا للنظام الاجتماعي المقدس في إسرائيل، لكن من الواضح عبر صفحات التناخ أن الكهنوت كان عُرضَةً للفساد. فخلال بعض الفترات، كان الكهنة يتلقون الرشاوى، وفي فترات أخرى ساوموا على إيمان بني إسرائيل ومارسوا شعائر وثنية. وفي بعض الأحيان، انخرطوا في السياسة، بل إن بعضهم جعلوا لأنفسهم مكانةً نخبويةً منفصلةً عن الشعب، ونظروا بازدراء إلى الناس وتعالوا عليهم.

وفي مثل هذه الأوقات التي يسود فيها الانحراف الأخلاقي، كان النبي يُمثّل صوت الله عز وجل وضمير الشعب، مُذَكِّرًا الناس برسالتهم الروحية والأخلاقية، داعيًا إياهم إلى التوبة والرجوع إلى الله عز وجل، ومُنَبِّهًا إياهم إلى واجباتهم تجاه الله وتجاه إخوتهم من البشر، ومحدّثًا من عواقب عدم الإصغاء إلى هذا النداء.

لقد أصبح الكهنوت مُسَيَّسًا وفاسدًا على نحوٍ واسعٍ في العصر الهلنستي، لا سيّما في زمن السلوقيين في القرن الثاني قبل الميلاد. فقد أدخل كبار الكهنة المتشبعون بالثقافة الهلنستية، مثل ياسون ومينيلوس، ممارسات وثنية إلى الهيكل، حتى بلغ بهم الأمر في مرحلة ما إلى إقامة تمثال لزيوس داخله. وقد أدّت هذه الممارسات إلى إشعال تمرد داخلي نستذكر أحداثه في عيد الـ"حانوكاه".

ومع أن مُشْعِلَ التمرد كان ماتيتياهو الكاهن الصالح، إلّا أن الفساد عاد للظهور في زمن حكم الملوك الحشمونيين. وكانت طائفة قُمران، التي نعرفها اليوم من خلال مخطوطات البحر الميت أو مخطوطات خربة قُمران، شديدة النّقد للكهنوت القائم في أورشليم القدس. ومن اللافت أن الحكماء نسبوا أصلهم الروحي إلى الأنبياء لا إلى الكهنة، كما ورد في الـ"مشناه"، باب "آفوت" 1:1. لقد كان الكهنة جزءًا أساسيًا من حياة إسرائيل القديمة؛ فهم الذين منحوا الحياة الدينية بُنيته واستمراريتها، وطقوسها وعاداتها، وأعيادها ومناسباتها. وتمثّلت مهمّتهم في أن يحرسوا على أن يبقى شعب إسرائيل

شعباً مقدّساً، يحلّ الله عزّ وجلّ في وسطه. غير أنّ الكهنوت كان مؤسسة تُشبه كلّ مؤسسة أخرى، إذ كان في أفضل أحواله حارساً لقيم الشعب العليا، وكان في أسوأها يتلوّث بالفساد، فيستغلّ الكهنة موقعهم ليبسطوا سلطتهم، أو لينخرطوا في السياسة الداخلية من أجل تحقيق مكاسب شخصية. وهذا ما تنتهي إليه المؤسسات، لا سيّما حين يكون الانتماء إليها بالوراثة.

ولهذا السبب كان دور الأنبياء أساسياً. فقد كانوا أول النُّقّاد الاجتماعيين في التاريخ، الذين كلّفهم الله عزّ وجلّ بقول الحقّ في وجه أصحاب السُّلطة. وإلى اليوم، تبقى المؤسسات الدينية، بغض النظر عمّا إذا كانت هذه المؤسسات جيّدة أم سيئة، شبيهة بالكهنوت في إسرائيل. ويبقى السؤال المهم: من هم أنبياء إسرائيل في عصرنا الحاضر؟

إنّ الدرس الأساسي للتوراة، كما ناقشناه، هو أنّ القيادة لا يمكن أن تُحصّر في طبقة واحدة أو منصب واحد؛ بل يجب أن تكون مُورّعة ومُقسّمة دائماً. ففي إسرائيل القديمة، كان الملوك ينخرطون في شؤون السلطة، والكهنة في شؤون القداسة، والأنبياء يحرصون على النزاهة الأخلاقية وإخلاص المجتمع بأسره لقيمه ورسالته الروحية. وفي الديانة اليهودية، لا تُعدّ القيادة وظيفة جامدة، بل هي حقلٌ من التوتّرات بين أدوارٍ متعدّدة، لكلٍّ منها منظوره وصوته الخاصّ.

فالقيادة في اليهودية هي نوعٌ من "التناغم" الموسيقيّ القريب ممّا يسمه علماء الموسيقى بالـ "counterpoint"، أي توليف بين ألحانٍ مستقلةٍ متوازيةٍ تنشأ بينها علاقة تناغم، مع احتفاظ كلّ لحنٍ بفردانيته في الوقت ذاته.⁵ وهذه البنية الداخلية المعقّدة هي التي تمنح القيادة اليهودية قوّتها وحيويّتها، وتُنقّذها من "الإنتروبيا"، أي التفسّخ والتلاشي وفقدان الطاقة مع مرور الزمن.

وأنا أوّمن أنّ القيادة يجب أن تكون دائماً على هذا النحو، بحيث يتكوّن كل فريق من أشخاص لديهم أدوار مختلفة، وقدرات متنوّعة، وطباع ووجهات نظر متميزة. ويجب أن يظلّوا دوماً مُنفتحين على النقد، مُتيقّظين في وجه التفكير الجماعيّ التوافقيّ (groupthink). ويمكن مجدّ اليهودية في إصرارها على أنّ السلطة الواحدة المطلقة موجودة في السماء فقط، بينما هنا على الأرض لا يجوز أن يحتكر فردٌ واحد القيادة. ومن اشتباك وجهات النظر بين المَلِك والكاهن والنبّي، ينبثق شيءٌ أعظم ممّا يُمكن لأيّ دورٍ أو فردٍ أن يحققه وحده.

5. American Heritage Dictionary, 5th ed., s.v. "Counterpoint" (Boston: Houghton Mifflin, 2011).

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion



Facebook Twitter Instagram YouTube | RABBISACKS.ORG